٧٣ – باب حسن الخلق

تعريفه :

هو مَلَكَةٌ تبعث النفس على أفعال حميدة، واكتساب شِيَمٍ شريفة.

وقال القسطلاني –رحمه الله– حسن الخُلق احتياز الفضائل واجتناب الرذائل.

قَالَ الله تَعَالَى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [ن: ٤]، وقال تَعَالَى: {وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} [آل عمران: ١٣٤] الآية.

==========

قَالَ الله تَعَالَى (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) .

أي : على دين عظيم ، كما قال مجاهد وغيره .

والخُلق في الشرع له معنيان:

أحدهما : الدين .

كما في هذه الآية .

الآخر : الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل .

وقد ثبت في صحيح مسلم أن عائشة قالت عن خلق النبي ﷺ : كان خلقه القرآن .

قال ابن كثير : معنى هذا أنه عليه السلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له ، وخلقاً تطبعه ، وترك طبعه الجبلي ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه . هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم ، من الحياء ، والكرم والشجاعة ، والصفح ، والحلم ، وكل خلق جميل .

قال القرطبي : قال الجنيد : سمي خلقه عظيما لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى . وقيل : سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه ; يدل عليه قوله عليه السلام : "إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق" . وقيل : لأنه امتثل تأديب الله تعالى إياه بقوله تعالى : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . وقد روي عنه عليه السلام أنه قال : "أدبني ربي تأديبا حسنا إذ قال : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما قبلت ذلك منه قال : إنك لعلى خلق عظيم" .

من فوائد الآية :

١–تزكية الله للنبي ﷺ: فقد شهد الله له بعظمة الخُلُق، وهذا أعلى ثناء وتشريف.

٢–بيان أهمية الأخلاق في الإسلام: فالأخلاق الحسنة ليست أمرًا ثانويًا، بل من أعظم خصال المؤمن.

٣–الاقتداء بالنبي ﷺ ، فالآية تدعونا إلى التأسي بأخلاقه ﷺ في الصبر، والرحمة، والعفو، والصدق، والتواضع.

٤–الصبر وحسن التعامل .

٥–رفعة صاحب الخُلُق الحسن ، فالأخلاق العظيمة سبب لمحبة الله ومحبة الناس، وسبب للأجر والثواب.

٦–شمول أخلاق النبي ﷺ: كان خُلُقه القرآن، كما وصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أي أنه كان يمتثل أوامر القرآن ويجتنب نواهيه.

٧–أن حسن الخُلُق عبادة، وأن المسلم يستطيع أن يتقرب إلى الله من خلال طريقة كلامه، وصبره، وعفوه، ورحمته بالآخرين.

وقال تَعَالَى (وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) .

يقول تعالى في أول الآية (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ) أي: إلى أسبابهما من الأعمال الصالحة.

قال ابن الجوزي: ومعنى الآية: بادروا إلى ما يوجب المغفرة.

وقال الرازي: في الكلام حذف والمعنى: وسارعوا إلى ما يوجب مغفرة من ربكم ولا شك أن الموجب للمغفرة ليس إلا فعل المأمورات وترك المنهيات، فكان هذا أمراً بالمسارعة إلى فعل المأمورات وترك المنهيات.

وتقديم المغفرة على الجنة لما أن التخلية مقدمة على التحلية.

(وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ) تقديره كعرض فحذف المضاف؛ كقوله (مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) أي إلا كخلق نفس واحدة وبعثها، ونظيره في سورة الحديد (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السمآء والأرض). (تفسير القرطبي)

قال ابن كثير: وقد قيل: إن معنى قوله (عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ) تنبيها على اتساع طولها، كما قال في صفة فرش الجنة (بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) أي: فما ظنك بالظهائر؟

وقيل: بل عرضها كطولها؛ لأنها قبة تحت العرش، والشيء المقبَّب والمستدير عَرْضُه كطوله، وقد دل على ذلك ما ثبت في الصحيح (إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ الجنة فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَن) .

قال القرطبي: قوله تعالى (عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ) واختلف العلماء في تأويله؛ فقال ابن عباس: تُقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب ويوصل بعضها ببعض؛ فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله.

وهذا قول الجمهور، وذلك لا ينكر؛ فإن في حديث أبي ذرّ عن النبي ﷺ(ما السموات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلا كدراهم ألقيت في فلاةٍ من الأرض وما الكرسي في العرش إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض) فهذه مخلوقات أعظم بكثير جداً من السموات والأرض، وقدرة الله أعظم من ذلك كله.

(أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) أي: هيئت للمتقين، الذين اتقوا ربهم بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

وفي هذا فضل عظيم للمتقين، وأن التقوى سبب لدخول الجنة.

كما قال تعالى (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ).

وقال تعالى (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ). وقال تعالى (وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ).

وقال تعالى (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ).

ثم ذكر تعالى صفات المتقين فقال:

(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ) أي: في الشدة ولرخاء، والمنشط والمكره، والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال كما قال تعالى (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ).

قال ابن الجوزي: ومعنى الآية: أنهم رغبوا في معاملة الله، فلم يبطرهم الرخاء فينسيهم، ولم تمنعهم الضراء فيبخلوا.

وقال ابن كثير: والمعنى أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى والإنفاق في مراضيه، والإحسان إلى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر.

وقال ابن عاشور: قوله تعالى (فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ) وكأنّ الجمعَ بينهما هنا لأنّ السرّاء فيها ملهاة عن الفكرة في شأن غيرهم، والضرّاء فيها ملهاة وقلّة مَوجدة.

فملازمة الإنفاق في هذين الحالين تَدلّ على أنّ محبَّة نفع الغير بالمال، الَّذي هو عزيز على النَّفس، قد صارت لهم خلقاً لا يحجبهم عنه حاجب ولا ينشأ ذلك إلاّ عن نفس طاهرة.

(وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) الذين يكفون غيظهم عن الإمضاء ويردون غيظهم في أجوافهم.

وقد تقدم فضائل كظم الغضب والغيظ في حديث : ٤٥ .

(وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) أي: الذين يعفون عمن أساء لهم.

وفي هذا فضل عظيم لمنزلة العفو عن الناس .

وللعفو ثمرات :

أولاً: أن فيه استجابة لأمر الله تعالى وطاعة لله ورسوله.

قال تعالى (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ).

وقال تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ).

وقال تعالى (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

ثانياً: وهو يورث العز في الدنيا والآخرة.

قال ﷺ (وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً) رواه مسلم.

ثالثاً: وهو يورث محبة الله عز وجل.

قال تعالى (الذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

رابعاً: يجلب الأجر الجزيل من الله تعالى.

قال تعالى (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ).

قال السعدي: وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلْيَعْفُ عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل.

خامساً: يوجب عفو الله عن العبد يوم القيامة.

ففي الحديث (كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا فلقي الله فتجاوز عنه) متفق عليه.

سادساً: وهو من صفات الرسول ﷺ .

كما قال عبد الله بن عمرو: إني أرى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة (أنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح) رواه البخاري.

سابعاً: سبب لمغفرة الذنوب.

قال تعالى (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

ثامناً: من صفات المتقين.

قال تعالى (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

وأعظم سبب يقود للعفو عن الناس، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته النفيسة (قاعدة في الصبر) الأسباب التي تُعين المسلم على الصبر على أذى الناس قال: الثالث: أنْ يَشْهَدَ العبدُ حُسْنَ الثواب الذي وعده الله لمن عفى وصبر، كما قال تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ).

٦٢٤ – عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ (لَمْ يكن رسولُ الله ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وكان يَقُولُ: «إنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا) متفقٌ عَلَيْهِ.

٦٢٥ – وعن أَبي الدرداءِ ﷺ: أن النبي ﷺ قَالَ (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ العبدِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ الله يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ) رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح»

«البَذِيُّ»: هُوَ الَّذِي يتكلَّمُ بِالفُحْشِ ورديء الكلامِ.

٦٢٦ – وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ (سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: الفَمُ وَالفَرْجُ) رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

٦٢٧ – وعنه، قال: قَالَ رسول الله ﷺ (أَكْمَلُ المُؤمنينَ إيمَانًا أحسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ) رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

٦٢٨ – وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول (إنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ). رواه أَبُو داود

==========

١–هذه الأحاديث فيها فضل حسن الخلق .

الفضل الأول : أن من خيار الناس أحسنهم خلقاً .

لقوله (إنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا) .

أي : الذين يحسنون معاملتهم مع الله تعالى؛ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ومعاملتهم مع الناس؛ بالنصيحة في أمورهم الدينية والدنيوية، والإحسان إليهم بقدر طاقتهم، فيكون هؤلاء المذكورون أفضل الناس عنده تعالى، وأكثرهم أجرًا.

الفضل الثاني : أثقل شيء في الميزان يوم القيامة حسن الخلق .

لقوله (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ العبدِ المؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ) .

الفضيلة الثالثة : حسن الخلق من أكثر ما يدخل الناس الجنة .

لقوله ﷺ لما سئل قال : (تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الخُلُقِ) .

الفضيلة الرابعة : أن حسن الخلق من علامات كمال الإيمان .

لقوله (أَكْمَلُ المؤمنينَ إيمَانًا أحسَنُهُمْ خُلُقًا) .

الفضيلة الخامسة : بحسن خلقه يصل المسلم درجة الصائم القائم .

لقوله (إنَّ المؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ) .

الفضيلة السادسة : أن النبي ﷺ حصر دعوته بحسن الخلق .

قال ﷺ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) رواه أحمد.

الفضيلة السابعة : وكان النبي ﷺ يدعو به.

كان ﷺ يقول في استفتاحه لصلاة الليل (واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ...).

وكان يقول (اللَّهم كما أحسنت خلْقي فحسّن خُلُقي).

الفضيلة الثامنة : الخلق الحسن من أسباب النجاة من النار.

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ (ألا أخبركم بمن يحرم على النار؟ على كُلِّ قريب هيّن سهل) رواه الترمذي .

الفضيلة التاسعة : تكَفَّل النبي ﷺ ببيت في أعْلى الجنة لمن حسَّن خلقه.

كما في الحديث الآتي (أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) رواه أبو داود.

الفضيلة العاشرة : والخلق الحسن ذو أهمية بالغة.

لأن الله – عز وجل – أمر به نبيه الكريم، وأثنى عليه به، وعظّم شأنه الرسول الأمين ﷺ .

قال الله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ).

وقال تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم).

الفضيلة الحادية عشرة : وأقرب الناس إلى رسول الله ﷺ صاحب الخلق الحسن.

كما في الحديث الآتي (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً) رواه الترمذي.

الفضيلة الثانية عشرة : ويحصل بالخلق الحسن: جوامع الخيرات والبركات.

كما في الحديث الآتي (البر حسن الخلق) .

الفضيلة الثالثة عشرة : أمر النبي ﷺ بحسن الخلق .

عن أبي ذر جُنْدُب بنِ جُنادَةَ وأبي عبدِ الرحمانِ معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنهما، عن رسولِ الله ﷺ قَالَ (اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) رواه الترمذي.

٢–قوله ﷺ (**اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ .... وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**) رواه الترمذي.

قال ابن رجب رحمه الله: قوله (وخالق الناس ...) هذا من خصال التقوى، ولا تتم التقوى إلا به، وإنما أفرد بالذكر للحاجة إلى بيانه، فإن كثيراً من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده ... إلى أن قال: والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جداً، ولا يقوى عليه إلا الكمل من الأنبياء والصديقين.

وقال ابن القيم رحمه الله : جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته .

٣–من أقوال السلف :

قال الحسن: حسن الخلق: الكرم، والبذلة، والاحتمال.

وقال ابن المبارك: هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

وسئل سلام بن أبي مطيع عن حسن الخلق فأنشد شعراً فقال:

تراه إذا ما جئته متهللاً ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ولو لم يكن في كفه غيرُ روحهِ ... لجاد بها فليتق اللهَ سائلُه

هو البحرُ من أي النواحي أتيتَه ... فلجته المعروفُ والجودُ ساحلُه

وقال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

قال ابن القيم: حسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصوّر قيام ساقِه إلا عليها: الصبر، والعفّة، والشجاعة، والعدل، ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة.

قال الماوردي -رحمه الله-: إذا حَسُنت أخلاق الإنسان كثُر مصافوه، وقلَّ أعداؤه، فتسهَّلت عليه الأمور الصِّعاب، ولانت له القلوب الغِضاب .

٤-مَا الفَائِدَةُ مِنَ العِبَادَةِ حِينَ لا تُقَوِّمُ سُلُوكَ صَاحِبِهَا؟ وَأَيُّ أَثَرٍ لِلصَّلاةِ وَالصِّيَامِ وَالحَجِّ وَالصَّدَقَةِ إِذَا لم يَعقُبْهَا حِلمٌ وَصَبرٌ وَبَشَاشَةٌ وَعَفوٌ وَتَسَامُحٌ؟

أَلَمْ يَقُلِ اللهُ سُبحَانَهُ: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالمنكَرِ ﴾؟

أَلَمْ يَقُلْ تَعَالى: ﴿ لاَ تُبطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالمنِّ وَالأَذَى ﴾؟

أَلَمْ يَقُلْ جَلَّ وَعَلا: "﴿ خُذْ مِن أَموَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وَتُزَكِّيهِم بها ﴾؟

أَلَمْ يَقُلْ سُبحَانَهُ: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الحَجِّ ﴾ "؟

أَلَمْ يَقُلْ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَغَيرُهُ: "مَن لم يَدَعْ قَولَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَن يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"؟!

نَعَم إِنَّ العِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ، لَتُقَوِّمُ السُّلُوكَ وَتُهَذِّبُ الأَخلاقَ، وَتَجعَلُ المؤمِنَ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ إِخوَانِهِ عَلَى أَرقَى مَا يَكُونُ، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَحسِنُوا "إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المحسِنِينَ" .

وَجَاهِدُوا أَنفُسَكُم عَلَى حُسنِ الخُلُقِ فَإِنَّهُ مِمَّا يُبَارِكُ اللهُ بِسَبَبِهِ فِي قَلِيلِ العَمَلِ، وَإِيَّاكُم وَسُوءَ الخُلُقِ فَإِنَّهُ مُفسِدٌ لِلعِبَادَاتِ مَاحِقٌ لِبَرَكَةِ الطَّاعَاتِ، مُحبِطٌ لِلأَعمَالِ مُذهِبٌ لِلحَسَنَاتِ .

عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلانَةَ يُذكَرُ مِن كَثرَةِ صَلاتِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصِيَامِهَا، غَيرَ أَنَّهَا تُؤذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ: " هِيَ فِي النَّارِ " قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلانَةَ يُذكَرُ مِن قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَلاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالأَثوَارِ مِنَ الأَقِطِ وَلا تُؤذِي جِيرَانَهَا. قَالَ: هِيَ فِي الجَنَّةِ) رَوَاهُ أَحمَدُ .

٥- قوله ﷺ (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ العبدِ ... مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ) .

من المعلوم : أن التوحيد أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة، كما ورد في حديث البطاقة.

عن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ العَاصِ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ) . رواه الترمذي

وأما حديث (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ) فليس المراد بظاهره أن ذلك أفضل من كلمة التوحيد، أو أن حسن الخلق أفضل من الإيمان بالله ورسوله ؛ فإن ذلك لا ينفع صاحبه عند الله شيئا ، إذا لم يكن من المؤمنين .

وعلى ذلك : فالمراد به : حسن خلق العبد المؤمن ، الموحد لرب العالمين.

ويكون تفضيل حسن الخلق، على غيره من الأخلاق، أو من نوافل الطاعات، كما في حديث عَائِشَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ .

٦-قوله (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ ...) .

فيه دليل على ثبوت الميزان الذي توزن به أعمال العباد يوم القيامة لإظهار العدل وبيان الفضل .

وهو ميزان حقيقي حسي، له كفتان .

وقد تقدمت مباحث الميزان في حديث رقم : ٢٥ .

٧-أعمال تثقل في الميزان :

أولاً: التهليل ويقصد به " لا إله إلا الله " وهي أثقل شيء في الميزان:

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ أَفَلَكَ عُذْرٌ فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ فَقَالَ إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ). رواه احمد والترمذي

ثانياً : حمد الله .

قال ﷺ (والحمد لله تملأ الميزان).

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: وسبب ذلك: أن التحميد إثبات المحامد كلها لله، فدخل في ذلك إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال كلها.

ثالثاً : ذكر الله تعالى: التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ) متفق عليه.

عَنْ جُوَيْرِيَةَ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ فَقَالَ مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا قَالَتْ نَعَمْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ) رواه مسلم.

رابعاً : المحافظة على الأذكار دبر الصلاة المفروضة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (خَصْلَتَانِ أَوْ خَلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ يُسَبِّحُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا وَيَحْمَدُ عَشْرًا وَيُكَبِّرُ عَشْرًا فَذَلِكَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ وَيُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ وَيَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَيُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ ...) رواه أحمد وأبو داود.

خامساً : الصبر والاحتساب على فقدان الولد الصالح.

عَنْ زَيْدٍ عَنْ أَبِي سَلَّامٍ عَنْ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (بَخٍ بَخٍ خَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدَاهُ وَقَالَ بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ مُسْتَيْقِنًا بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْحِسَابِ) رواه الإمام أحمد.

سادساً : مكارم الأخلاق.

لحديث الباب (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ) رواه أبو داود.

سابعاً : إتباع الجنازة حتى يفرغ من دفنها.

عَنْ أُبَيٍّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (مَنْ تَبِعَ جَنَازَةً حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ وَمَنْ تَبِعَهَا حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِهِ مِنْ أُحُدٍ) رواه الإمام أحمد.

٨-قوله ﷺ (**أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ : تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الخُلُقِ**) .

فيه فضيلة التقوى وأنها من أسباب دخول الجنة .

كما قال تعالى (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ).

وقال تعالى (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ).

وقال تعالى (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ) .

وقال تعالى (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً).

وقال تعالى (وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ).

وقال تعالى (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ).

وقد تقدمت فضائل التقوى ومعناها .

٩-قوله (**أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ : الفَمُ وَالفَرْجُ**) .

فيه خطر اللسان .

وأكثر ذنوب ابن آدم من لسانه.

عَنْ شَقِيقٍ قَالَ: لَبَّى عَبْدُاللَّهِ ﷺ عَلَى الصَّفَا، ثُمَّ قَالَ: يَا لِسَانُ، قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، اسْكُتْ تَسْلَمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ، هَذَا شَيْءٌ أَنْتَ تَقُولُهُ أَمْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: لَا؛ بَلْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ).

وما من يوم ينشق صبحه إلا والأعضاءُ كُلُّها تُكَفِّرُ اللسان.

فقد روى الترمذي عن أَبي سَعيدٍ الخُدْرِيّ عن النَّبِيّ ﷺ أنه قَالَ (إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسانَ، تَقُولُ: اتّقِ اللَّه فينَا، فَإِنَّما نحنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسَتقَمْنا، وإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا).

وأكثر أسباب دخول النار بسبب اللسان.

كما في حديث الباب (وَسُئِلَ عَنْ أَكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ فَقَالَ: الفَمُ وَالفَرْجُ) .

وفي رواية (أتدرونَ ما أكثرُ ما يُدخِلُ الناسَ النارَ؟) قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلم، قال: (فإنَّ أكثر ما يُدخِلُ الناسَ النارَ الأجوفانِ: الفرجُ والفمُ).

ولذلك من ضمن لسانه؛ فقد ضمن له النبي ﷺ الجنة.

ففي الصحيحين عَنْ سَهْلِ بنِ سعْدٍ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بيْنَ رِجْلَيْهِ أضْمَنْ لهُ الجَنَّة).

فإن عظم الجزاء مع عظم البلاء، فأعظم الجزاء هو الجنة، وأعظم البلاء هو اللسان، وقد مات رجل، فأثنوا عليه خيرًا، وشهدوا له بالجنة، فقال النبي ﷺ وما يدريك؟ لعلَّه تكلَّم فيما لا يعنيه).

وكان من دعاء النبي ﷺ .

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي).

وربما كلمة تدخل النار .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ).

وعنه . قال : قال ﷺ (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّم) رواه البخاري .

إذا رُمتَ أنْ تَحيا سَليماً مِن الأذى – وَدينُكَ مَوفورٌ وعِرْضُكَ صَينُ

لِسانُكَ لا تَذكُرْ بِهِ عَورَةَ امرئٍ – فَكُلُّكَ عَوراتٌ وللنّاسِ ألسُنُ

قال الأحنف بن قيس سيد بني تميم. قال: قال لي عمر: يَا أَحْنَفُ، مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ.

قال رجل للقمان الحكيم كيف وصلت إلى ما وصلت إليه، فقال لقمان بأمرين: بقلة كلامي، وعدم تدخلي فيما لا يعنيني

وقال لابنه: يا بني إذا افتخر الناس بكلامهم فافتخر أنت بسكوتك.

قيل في مأثور الحكم: إذا تم العقل نقص الكلام.

وقال بعض الحكماء: في ابن آدم من العيوب؟! فقال: هي أكثر من أن تحصى، والذي أحصيته: ثمانية آلاف عيب، فوجدت خصلةً إن استعملتها سترت العيوب كلها، قال ما هي؟ قال: حفظ اللسان.

وقيل: الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها الصمت والعاشرة قلة الكلام.

وقيل: راحة الجسم في قلة الطعام، وراحة النفس في قلة الآثام، وراحة القلب في قلة الاهتمام، وراحة اللسان في قلة الكلام.

قال الأوزاعي: ما بلي أحد في دينه ببلاء أضر عليه من طلاقة لسانه.

٦٢٠ – وعن أنس ﷺ قال (كَانَ رسولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاس خُلُقًا) متفقٌ عَلَيْهِ.

==========

١–كمال خُلق النبي ﷺ .

وقد قالت عائشة (... فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ) .

وفي رواية أخرى (قُلتُ : يَا أُمَّ المؤمِنِينَ ! حَدِّثِينِي عَن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَت : يَا بُنَيَّ أَمَا تَقرَأُ القُرآنَ ؟ قَالَ اللَّهُ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) خُلُقُ مُحَمَّدٍ القُرآنُ) أخرجها أبو يعلى بإسناد صحيح .

قال النووي رحمه الله : معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته. انتهى

وقال القرطبيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: أي: كان يتخلّق بما فيه من محمود الأوصاف، ويَجتنب ما فيه من ممنوعها .

وقال ابن رجب : يعني أنه كان يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه ، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه ، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه ، وجاء في رواية عنها قالت (كَانَ خُلُقُهُ القُرآنُ ، يَرضَى لِرِضَاه ، وَيَسخَطُ لِسَخَطِهِ) .

وقال المُناوي : أي ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده إلى غير ذلك .

وقال القاضي : أي خلقه كان جميع ما حصل في القرآن ، فإنَّ كُلَّ ما استحسنه وأثنى عليه ودعا إليه فقد تحَلَّى به ، وكل ما استهجنه ونهى عنه تَجَنَّبَه وتَخَلَّى عنه ، فكان القرآن بيان خلقه ... . انتهى .

٢-النبي ﷺ هو القدوة الكاملة في حسن الخُلُق.

٣-الحث على التأسي بالنبي ﷺ في حسن خُلُقه.

٦٢١ – وعنه، قَالَ (وَلَقَدْ خَدمتُ رسول اللهِ ﷺ عَشْرَ سنين، فما قَالَ لي قَطُّ: أُفٍّ، وَلاَ قَالَ لِشَيءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَه؟ وَلاَ لشَيءٍ لَمْ أفعله: ألاَ فَعَلْتَ كَذا؟) متفقٌ عَلَيْهِ.

==========

(**خَدمتُ رسول اللهِ ﷺ عَشْرَ سنين**) وفي رواية عند مسلم عَنْ أَنَس، قَال: خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ، وأجاب في "الفتح" بأنه لا مغايرة بينهما؛ لأن ابتداء خدمته له ﷺ كان بعد قدومه المدينة، وبعد تزويج أمه أم سليم بأبي طلحة، ففي رواية عبد العزيز بن صهيب، عن أنس قال: "قَدِمَ النَّبِيّ ﷺ المدينة، وليس له خادم، فأخذ أبو طلحة بيدي ... الحديث، وفيه: إنَّ أنساً غلامٌ كَيِّس، فليخدُمك، قال: فخدَمته في السفر والحضر.

(**وَلاَ لِمَ صَنَعْتَ**) وفي الرواية الأخرى (وَلَا قَالَ) ﷺ (لِي لِشَيءٍ) أي: لأجل فِعْل شيء فَعَلته مما لا يعجبه (لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟) منكرًا عليَّ فِعله.

١ – الحديث دليل على حسن خُلُق النبيّ ﷺ الكريم، فقد أحسن الله سبحانه وتعالى خُلُقه، كما حسّن خَلْقَه، قال الله (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).

وكان من دعائه ﷺ (اللهم كما حَسّنت خَلْقي، فأَحسِن خُلُقي).

٢ – بيان كمال خلقه ﷺ وحُسْن عِشرته، وحلمه، وصفحه، وتواضعه.

٣ – جواز الثناء على المرء بحضرته، إذا أُمن عليه الفتنة، فقد قال أبو طلحة: إن أنسًا غلام كيّس .

٤ – أن خدمة الإمام والعالم واجبة على المسلمين، وأن ذلك شرف لمن خَدَمهم؛ لِمَا يُرْجَى من بركة ذلك.

٥ – بيان عظيم منقبة أنس بن مالك ﷺ حيث تشرّف بخدمته ﷺ عشر سنين، فإن من تشرّف بخدمة سعيد، فهو سعيد.

وقد نال أنس ﷺ بتلك الخدمة دعوة النبيّ ﷺ المباركة، ففي "الصحيحين" عن أنس ﷺ أن أم سليم قالت: يا رسول الله أنس خادمك، ادع الله له، قال (اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيما أعطيته) .

وفي رواية عند مسلم في حديث طويل، وفيه (ثم دعا لنا أهلَ البيت بكل خير من خير الدنيا والآخرة، فقالت أمي: يا رسول الله خُويدمك ادع الله له، قال: فدعا لي بكل خير، وكان في آخر ما دعا لي به أن قال: اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيه) .

وفي رواية (جاءت بي أمي أم أنس إلى رسول الله ﷺ وقد أزَّرتني بنصف خمارها، ورَدّتني بنصفه، فقالت: يا رسول الله هذا أُنَيْس ابني أتيتك به يخدمك، فادع الله له، فقال: اللهم أكثر ماله، وولده، قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي، وولد ولدي، ليتعادُّون على نحو المائة اليوم) .

وفي رواية قال (مَرّ رسول الله ﷺ فسمعت أمي أم سليم صوته، فقالت: بأبي وأمي يا رسول الله أنيس، فدعا لي رسول الله ﷺ ثلاث دعوات، قد رأيت منها اثنتين في الدنيا، وأنا أرجو الثالثة في الآخرة) .

وفي رواية قال أنس (فإني لمن أكثر الأنصار مالًا) وحدثتني أمينة ابنتي أنه دُفن من صُلبي إلى مَقْدَم الحَجَّاج البصرة تسعة وعشرون ومئة.

٦٢٢ – وعن الصعب بن جَثَّامَةَ ﷺ قَالَ (أهديتُ رسولَ الله ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا، فَرَدَّهُ عَلَيَّ، فَلَمَّا رأى مَا في وجهي، قَالَ: «إنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إلاَّ لأَنَّا حُرُمٌ») متفقٌ عَلَيْهِ.

==========

(**عن الصعب بن جَثَّامَةَ**) هو الصعب بن جثّامة بن قيس بن عبد الله بن يعمر الليثي الحجازي، صحابي من المقلين من الحديث.

(**أهديتُ رسولَ الله ﷺ حماراً وحشياً**) نوع من الصيود، تشبه الحمر الأهلية، سميت بذلك لأنها متوحشة غير أليفة.

(**فَرَدَّهُ عَلَي**) أي: رد ذلك الحمار على الصعب.

(**إلَّا أَنَّا حُرُمٌ**) (حُرُم) بضمتين: جمع حَرَام، أي محرمون، وفي رواية صالح بن كيسان (لا إنا حرم، لا نأكل الصيد) وفي رواية عند البخاري (ليس بنا ردّ عليك) وفي رواية عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهريّ، عند الطبرانيّ (إنا لم نردّه عليك كراهية له، ولكنا حُرُم) وفي رواية سعيد، عن ابن عباس (لولا أنا محرمون لقبلناه منك) .

١–الحديث دليل على حسن خلق النبي ﷺ ، حيث طيَّب نفس المهدي ببيان العلة وسبب الامتناع .

٢–ستحباب قبول الهدية، والأكل منها.

٣–الحديث دليل على أن النبي ﷺ يقبل الهدية ، وإنما الممنوع عليه قبول الصدقة .

عن أنس ﷺ قال (مرَّ النبي ﷺ بتمرة في الطريق، قال : لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها) متفق عليه .

عن أبي هريرة ﷺ قال (كان رسول الله ﷺ إذا أتي بطعام سأل عنه: أهدية أم صدقة ؟ فإن قيل صدقة، قال لأصحابه: كلوا ، ولم يأكل، وإن قيل هدية ضرب بيده ﷺ فأكل معهم) متفق عليه .

وهو من علامات نبوته :

ففي حديث سلمان ﷺ في قصة إسلامه: (... وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ. قَالَ: فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: كُلُوا، وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُهُ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ ...) رواه أحمد .

٤–جواز رد الهدية لعلة.

٥–استحباب قبول الهدية إذا لم يكن هناك مانع من قبولها.

٦–الاعتذار عن رد الهدية، تطييباً لقلب المهدي.

٧–أن الهديّة لا تدخل في الملك إلا بالقبول.

٨– تحريم الاصطياد على المحرم.

٩–حل أكل الحمار الوحشي .

٦٢٣ – وعن النَّوَّاس بنِ سمعان ﷺ قَالَ: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن البِرِّ وَالإثم، فَقَالَ (البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ، والإثْمُ: مَا حَاكَ في صدرِك، وكَرِهْتَ أن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) رواه مسلم.

==========

الحديث تقدم شرحه : ٥٨٩ .

١-الحديث دليل على فضل حسن الخلق .

حيث جعل حسن الخلق من أعظم خصال البر.

قال أبو العباس القرطبي -رحمه الله-: فأجابه النبي ﷺ بجواب جمليٍّ أغناه به عن التفصيل، فقال له (البر: حسن الخلق) يعني: أن حسن الخلق أعظم خصال البر، كما قال (لحجُّ عرفة) ويعني بحسن الخلق: الإنصاف في المعاملة، والرفق في المجادلة، والعدل في الأحكام، والبذل والإحسان.

وقال الصنعاني -رحمه الله-: قوله (البر ...) فسّره ﷺ بحُسن الخُلق؛ لأنه جامِعٌ لكل إحسان؛ ولهذا كان يدعو به في صلواته: اللهم اهدني لأَحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت.

وقال الملا علي القاري -رحمه الله-: فقال (البر) أي: أعظم خصاله، أو البر كله مجملًا (حُسن الخلق) أي: مع الخَلْق، بأمر الحق، أو مُداراة الخَلْق، ومراعاة الحق.

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: (البر حسن الخلق) الجملة هذه يقولون: إنَّ التركيب يقتضي الحصر: البر حُسن الخلق، وهذا قد يُشكل في ظاهره على بعض الناس، حيث يقول: إنَّ البر حُسن الخلق، وهناك أشياء كثيرة من البر، وليست حُسن الخلق، كالصلاة والصدقة والصيام والحج، وغير ذلك.

فيقال: إنك لم تفهم مراد الرسول ﷺ به، حسن الخلق مع الله، ومع عباد الله؛ لأن الرسول لم يقيَّد، لم يَقُل: حسن الخلق مع الناس، ولكن أطلق.

حُسن الخلق مع الله: أن تتقبل أوامره بالسرور والانشراح، سواء كانت من المنهيات أو من المأمورات، لا يضيق صدرك به، هذا لا شك أنه بِرٌّ؛ لأن مَن تلقى أوامر الله بانشراح وقبول فسوف يفعله؛ لأنه مسرور بها، وفي المحارم سوف يتجنبها، فهذا صار في معاملة الله.

وفي معاملة الخلق: حُسن الخلق، بعضهم قال: هُو بذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة الوجه، وبعضهم قال: حُسن الخلق: أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، وهذا أجمع وأبين وأوضح .

٦٢٩ – وعن أَبي أُمَامَة الباهِليِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله (أنَا زَعِيمٌ ببَيتٍ في ربَض الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ، وَإنْ كَانَ مُحِقًّا، وَببَيْتٍ في وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وَإنْ كَانَ مَازِحًا، وَببَيْتٍ في أَعلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ) حديث صحيح، رواه أَبُو داود بإسناد صحيح.

==========

(**أنَا زَعِيمٌ**) **قال الخطابي** -رحمه الله-: الزَّعيم: الضَّامن والكفيل، والزَّعامة الكفالة، ومنه قول الله سبحانه (وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ).

ببَيتٍ أي : قصر .

(**في ربَض الجَنَّةِ**) أي: حواليها وأطرافها، لا في وسطها .

(**لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ**) الجدال .

١-الحديث دليل على فضل عظيم لحسن الخلق ، حيث أخبر ﷺ أنه زعيم بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه .

قال ابن القيم -رحمه الله-: فجعل البيت العُلْويَّ جزاءً لأعلى المقامات الثّلاثة، وهي حُسن الخُلق؛ والأوسط لأوسطها، وهو ترك الكذب؛ والأدنى لأدناها، وهو ترك المماراة، وإن كان معه حقٌّ، ولا ريبَ أنَّ حُسن الخُلق مشتملٌ على هذا كلِّه. .

وقال الشيخ عبدُ المُحسن العباد -حفظه الله-: فيه بيانُ فضيلةِ حُسنِ الخُلق، وأنَّ تحسينَ الإنسانِ لِخُلُقه يُوصلهُ إلى الدَّرجاتِ العاليةِ في الجنَّة؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ ذكر ثلاثةَ أصنافٍ من الناس: فمنهم مَن يكون في رَبَضِ الجنَّة، وفي أَدناها، ومنهم من يكون في وسطِها، ومنهم من يكون في أعلاها، ومعلومٌ أنَّه كما أنَّ النارَ دَرَكاتٌ بعضُها تحت بعض، فالجَنة دَرَجاتٌ بعضُها فوق بعض.

٢-قوله (**أَنَا زَعِيمٌ ببَيتٍ في رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ ...**) .

فيه ذم المراء .

والمراء : المخاصمة والمحاجَّة وطلب المغالبة.

قال ابن الأثير -رحمه الله-: المراء الجدال.

وقال الغزالي -رحمه الله-: وحَدُّ المراء: هو كُلُّ اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه، إمَّا في اللفظ، وإمَّا في المعنى، وإمَّا في قصد المتكلم .

قال المناوي -رحمه الله-: قال داود لابنه: يا بني إيَّاك والمراء فإن نفعه قليل، وهو يهيج العداوة بين الإخوان، قال بعضهم: ما رأيتُ شيئًا أذهب للدِّين، ولا أنقص للمروءة، ولا أضيع للذَّة، ولا أشغل للقلب من المخاصمة. فإن قيل: لا بُدَّ من الخصومة لاستيفاء الحقوق، فالجواب ما قال الغزالي: إنَّ الذَّمَّ المتأكِّد إنما هو خاصٌّ بباطل أو بغير علم، كوكلاء القاضي، وقال بعض العارفين: إذا رأيتَ الرجل لجوجًا مرائيًا مُعجبًا برأيه فقد تَمَّت خسارته.

وقد جاء : عن أبي أُمامةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ (ما ضَلَّ قومٌ بعدَ هُدًى كانوا عليه، إلَّا أُوتُوا الجَدَلَ. ثمَّ قرأ رسولُ اللهِ ﷺ هذه الآيةَ: مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) .

قال القاريُّ: والمعنى: ما كان ضلالتُهم ووقوعُهم في الكُفرِ إلَّا بسَبَبِ الجِدالِ، وهو الخصومةُ بالباطِلِ مع نبيِّهم، وطَلَبُ المعجزةِ منه عنادًا أو جُحودًا، وقيل: مقابَلةُ الحُجَّةِ بالحُجَّةِ، وقيل: المرادُ هنا العِنادُ، والمِراءُ في القرآنِ ضَربُ بعضِه ببَعضٍ؛ لترويجِ مذاهِبِهم، وآراءِ مشايخِهم، من غيرِ أن يكونَ لهم نُصرةٌ على ما هو الحَقُّ، وذلك مُحَرَّمٌ، لا المناظَرةُ لغَرَضٍ صَحيحٍ، كإظهارِ الحقِّ؛ فإنَّه فَرضُ كِفايةٍ .

وقال المُناويُّ : أي: الجِدالُ المؤَدِّي إلى مِراءٍ ووقوعٍ في شَكٍّ، أمَّا التَّنازُعُ في الأحكامِ فجائِزٌ إجماعًا، إنَّما المحذورُ جِدالٌ لا يرجِعُ إلى عِلمٍ، ولا يُقضى فيه بضِرسٍ قاطِعٍ، وليس فيه اتِّباعٌ للبُرهانِ، ولا تأوُّلٌ على النَّصَفةِ، بل يَخبِطُ خَبْطَ عَشواءَ غيرَ فارقٍ بَيْنَ حَقٍّ وباطِلٍ) .

وقال البَيضاويُّ: المرادُ بهذا الجَدَلِ العنادُ، والمِراءُ، والتَّعصُّبُ .

والسبب في ذم المراء : أنه يقسي القلب ، ويثير الضغائن ، ويذهب بنور العلم .

قال جعفر بن محمد رحمه الله: إياكم والخصومة في الدين؛ فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق.

وقال بلال بن سعد: إذا رأيت الرجل لجوجًا ماريًا يعجب برأيه فقد تمت خسارته.

وقال مالك بن أنس رحمه الله: المراء يُذهب بنور العلم، ويقسي القلوب، يورث الضغائن.

وقال السعدي رحمه الله: المماراة...فإن في كثرة المناقشات تضييعًا للزمان، وتأثيرًا في مودة القلب بغير فائدة.

من أقوال السلف :

قال ابنُ عُمَرَ : لن يصيبَ رَجُلٌ حقيقةَ الإيمانِ حتَّى يترُكَ المِراءَ، وهو يعلَمُ أنَّه صادِقٌ، ويَترُكَ الكَذِبَ في المزاح .

وعن معاذِ بنِ جَبَل قال : إذا أحبَبْتَ أخًا فلا تُمارِه .

وقال مالِكُ بنُ أنَس : المِراءُ في العِلمِ يُقَسِّي القُلوبَ، ويُورِثُ الضَّغائِنَ .

وقال أيضًا : كلَّما جاءَنا رجُلٌ أجدَلُ مِن رَجُلٍ، تَرَكْنا ما نَزَل به جبريلُ على محمَّدٍ ﷺ لجَدَلِه! .

وقال أيضًا: ليس هذا الجَدَلُ من الدِّينِ بشَيءٍ .

وقال أيضًا: مَن جَعَل دينَه غَرَضًا للخُصوماتِ أكثَرَ التَّنقُّلَ .

وقال الأوزاعيُّ : إذا أراد اللهُ بقومٍ شَرًّا ألزَمَهم الجَدَلَ، ومنَعَهم العَمَلَ .

وقال محمَّدُ بنُ الحُسَينِ الآجُرِّيُّ : من صفةِ الجاهِلِ: الجَدَلُ، والمِراءُ، والمغالَبةُ .

وقال الحَسَنِ : ما رأينا فقيهًا يُماري .

وعنه أيضًا : المؤمِنُ يُداري ولا يُماري، يَنشُرُ حِكمةَ اللهِ، فإنْ قُبِلت حَمِدَ اللهَ، وإن رُدَّت حَمِدَ اللهَ .

قال ابن رجب رحمه الله: ومما أنكره أئمة السلف: الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضًا، ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام، وإنما أُحدث ذلك بعدهم. ... وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا، فظنوا أن من كثُر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين، فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جهل محض.

وقال رحمه الله: السؤال عن العلم إنما يحمد إذا كان للعمل، لا للمراء والجدال .

وقال رحمه الله: ما سكت من سكت –عن كثرة الخصام والجدال من سلف الأمة– جهلًا ولا عجزًا؛ ولكن سكتوا عن علم وخشية لله، وما تكلم من تكلم، وتوسع من توسع بعدهم لاختصاصه بعلم دونهم؛ ولكن حبًّا للكلام، وقلة ورع.

من أسباب الفلاح ترك المراء .

قال عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ: قد أفلح مَن عُصِم من المِراءِ والغَضَبِ والطَّمَعِ .

ترك المراء سبب لوجود حلاوة الإيمان:

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: ثلاث من كن فيه يجدن بهن حلاوة الإيمان: ترك المراء في الحق، والكذب في المزاحة، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

من أسباب علاج المراء:

قال الإمام الغزالي رحمه الله: أما علاجه: فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار نفسه. وكل من اعتاد المجادلة مدة، وأثنى الناس عليه، ووجد لنفسه بسببه عزًّا وقبولًا، قويت فيه هذه المهلكات، ولا يستطيع عنها نزوحًا إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء، وحب الجاه، والتعزُّز بالفضل، وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها، فكيف بمجموعها؟

٣–قوله (**وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ مَازِحًا**) .

فيه فضل عظيم لمن ترك الكذب ولو مازحاً .

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة في تحريم الكذب .

الكذب يقود إلى النار .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا) متفق عليه .

والكذب ريبة وقلق .

عن الحسن بن علي . قال : حفظت من رسول الله ﷺ (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدقَ طمأنينة، وإن الكذبَ ريبة) رواه الترمذي

قال الماوردي : ... وحيث إن الكذب جِماع كل شر، وأصل كل ذم؛ لسوء عواقبه، وخبث نتائجه؛ لأنه ينتج عنه النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة". اهـ بتصرف.

وقال ابن القيم : ... وهل النعيم إلا نعيم القلب، وهل العذاب إلا عذاب القلب، وأي عذاب أشد من الخوف والهمّ والحزن وضيق الصدر، وإعراضه عن الله والدار الآخرة، وتعلُّقِهِ بغير الله، وانقطاعه عن الله، بكل وادٍ منه شعبة؟ وكلُّ شيء تعلق به وأحَبَّه من دون الله عُذِّبَ به ثلاث مرات .

والكذب يُمرض القلب:

الكذب يؤدي إلى مرض القلب، والقلب المريض لا يشعر بالاطمئنان والسكينة، ونجد ذلك بوضوح في قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) .

فالكاذب مريض القلب؛ لأن الكذب نقيض الصدق، والصدق يهدي إلى البر، والكذب يهدي إلى الفجور، والإنسان الفاجر يحيا في الآلام النفسية بما تصوره له نفسه الأمارة بالسوء على أنه سعادة .

والكذب ينقص الرزق، ويمحق البركة:

وقد جاء في الأثر : برُّ الوالدين يزيد في العمر، والكذب ينقص الرزق، والدعاء يرد القضاء .

وبوَّب البخاري في "صحيحه" بابًا بعنوان: "ما يمحق الكذب والكتمان في البيع".

ثم ساق الحديث الذي رواه حكيم بن حزام ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال (البَيِّعان بالخيار ما لم يتفَرَّقَا -أو قال: حتى يتَفَرَّقَا- فإنْ صدَقَا وبيَّنا، بورك لهما في بيعهما، وإن كتمَا وكذَبَا، محقت بركة بيعهما) .

فبسبب شؤم التدليس والخداع والكذب؛ يزيل الله عز وجل بركة هذا البيع، فترى الكذَّاب يزداد ربحه، ولكن لا بركة فيه – نسأل الله أن يرزقنا الحلال الطيب، وأن يبارك لنا فيه.

والكذب من خصال المنافقين .

عن أبي هريرة . قال : قال ﷺ (آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان) متفق عليه .

والكذاب يُعذَّب في قبره قبل يوم القيامة .

عن سمرة بن جندب ﷺ؛ أن النبي قال في حديث الرؤيا الطويل (فأتينا على رجُل مستلقٍ لِقفاهُ، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شِقَّي وجهه فيشرشر شدْقه إلى قفاه، ومنْخَراه إلى قفاهُ، وعيناهُ إلى قفاهُ) قال: (ثم يتحوَّل إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يَفرُغ من ذلك الجانب حتى يصحَّ الأول كما كان، ثم يعود فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى) فسأل عنه النبيُّ ﷺ فقيل له: إنه الرجُل يَغدو مِن بيته فيكذبُ الكذبة تبلُغ الآفاق) .

ورتب النبي ﷺ الثواب العظيم لِمَن ترَك الكذب وإنْ كان مازحًا .

كما في حديث الباب (... وأنا زعيم بَيْتٍ في وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ مَازِحًا) .

تركُ الْكَذِبِ مِنْ أَسْبَابِ الفَوزِ بالجَنةِ .

عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (تكفلوا لي بست أتكفل لكم بالجنة إذا حدثتم فلا تكذبوا وإذا وعدتم فلا تخلفوا وإذا ائتمنتم فلا تخونوا وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم) .

٦٣٠ – وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إليَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُم أَخْلاَقًا، وَإنَّ أَبْغَضَكُمْ إلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ» قالوا: يَا رسول الله، قَدْ عَلِمْنَا «الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ»، فمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «المُتَكَبِّرُونَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

وروى الترمذي عن عبد الله بن المباركِ رحِمه الله في تفسير حُسْنِ الخُلُقِ، قَالَ: «هُوَ طَلاَقَةُ الوَجه، وَبَذْلُ المَعروف، وَكَفُّ الأَذَى».

==========

١–الحديث دليل على فضل حسن الخلق ، وأنه من أسباب محبة رسول الله ﷺوالقرب منه يوم القيامة .

٢–الحكمة من ذلك :

لأن حُسن الخلق يحمل على التنزه عن الذنوب والعيوب، والتحلي بمكارم الأخلاق؛ من الصدق في المقال، والتلطف في الأحوال والأفعال، وحسن المعاملة مع الرحمن، والعشرة مع الإخوان، وطلاقة الوجه، وصلة الرحم، والسخاء والشجاعة، وغير ذلك من الكمالات.

٣–أن حسن الخلق سبب للقرب من النبي ﷺ يوم القيامة: وهذه منزلة عظيمة تدل على فضل الرفق، والتواضع، والصبر، وحسن المعاملة.

٤–أن الأخلاق ليست أمرًا ثانويًا في الدين: بل لها أثر عظيم في محبة الله ورسوله ورفعة العبد.

٥–التحذير من هذه الصفات : **الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ** .

(**الثَّرْثَارُ**) هُوَ كَثِيرُ الكَلاَمِ تَكَلُّفًا. .

(**المُتَشَدِّقُ**) المتَطَاوِلُ عَلَى النَّاسِ بِكَلاَمِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَلءِ فِيهِ تَفَاصُحًا وَتَعْظِيمًا لِكَلامِهِ .

(**المُتَفَيْهِقُ**) أصلُهُ مِنَ الفَهْقِ وَهُوَ الامْتِلاَءُ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلأُ فَمَهُ بِالكَلاَمِ وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ، ويُغْرِبُ بِهِ تَكَبُّرًا وَارْتِفَاعًا، وَإِظْهَارًا للفَضيلَةِ عَلَى غَيْرِهِ.

قال المنذري –رحمه الله–:

الثرثار: بثاءين مُثَلَثَتَيْنِ مفتوحتين، هو الكثير الكلام تكلفًا .

والمتشدّق : هو المتكلّم بملء شدقه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه .

والمتفيهق : أصله من الفَهَقِ وهو الامتلاء، وهو بمعنى المتشدق؛ لأنه الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه؛ إظهارًا لفصاحته وفضله، واستعلاء على غيره؛ ولهذا فسره النبي ﷺ بالمتكبر. (الترغيب والترهيب)

وقال البيضاوي –رحمه الله–:

الثرثار: كثير الكلام، والمراد به: مَن كثر كلامه زورًا ورياءً وخروجًا عن الحق.

والمتشدق: المتكلِّف في الكلام، فيلوي به شدقه، وقيل: المستهزئ بالناس الذي يلوي بهم وعليهم شدقه.

والمتفيهق: الذي يتوسَّع في الكلام، يملأ فاه من التكبر والرعونة، من الفَهَقِ وهو الِامْتِلَاءُ، يقال فَهِقَ الْحَوْضُ فَهَقًا، وأَفْهَقْتُهُ إذا ملأتُه.

وقال ابن القيم -رحمه الله-:

الثرثار: هو الكثير الكلام تكلفًا .

والمتشدّق : المتطاوِل على الناس بكلامه، الذي يتكلم بمِلء فيه تفاصُحًا وتفخيمًا وتعظيمًا لكلامه .

والمتفيهق : أصله من الفَهَق وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه تكثّرًا وارتفاعًا، وإظهارًا لفضله على غيره .

٦-التحذير من اللسان وهفواته .

وذلك لأنَّ اللسان من نعم الله تعالى العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة، وله في الخير مجال، وفي الشر ميدان، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيَّده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته، وهو أعصى الأعضاء على الإنسان، لأنه لا تعب في إطلاقه، ولا مؤونة في تحريكه، وقد تساهل الناس في الاحتراز عن آفاته، والحذر عن مصايده وحبائله.

لذلك جاء الحديث محذراً عن شطحاته وسقطاته، ليسلم للمسلم عِرْضُه، وينجو من آثامه بدينه.

فحذَّر الرسول ﷺ من الثرثرة والتشدُّق، وحثَّ على الصمت والتعقُّل، لأنَّ الكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر، ويخبر بمكنونات السرائر، لا يمكن استرجاع بوادره، ولا يقدر على ردِّ شوارده، فحقٌّ على العاقل أن يحترز من زلله، بالإمساك عنه، والإقلال منه.

جاء في الأثر : رحم الله من قال خيراً فغَنِم، أو سكت فسَلِم .

وقال عقبة بن عامر . قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتُك، وابكِ على خطيئتك .

وقيل : من كثر كلامُه كثر سقطُه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به .

٧-فضيلة قلة الكلام .

٨-خير الكلام ما قل ونفع .

٩-من صمت نجا .

١٠-ذم التكبر والتعالي: فالحديث يربط بين سوء الخلق والبعد عن النبي ﷺ يوم القيامة.

١١-فضل الكلام الطيب النافع: فالمؤمن يحرص أن يكون كلامه حقًا، نافعًا، مناسبًا للمقام، بعيدًا عن الأذى والتكلف.

١٢-أن القرب من النبي ﷺ يوم القيامة يُنال بالأعمال والأخلاق: وليس بمجرد الانتساب أو الدعوى.

١٣-محبة النبي ﷺ غاية عظيمة ينبغي للمسلم أن يسعى إليها، والحديث يبين طريقًا عمليًا لذلك، وهو تحسين الأخلاق.

١٤-القرب من النبي ﷺ يوم القيامة أعظم من مجرد النجاة؛ ولذلك ينبغي للمؤمن أن يطمح إلى أعلى المنازل، لا إلى مجرد التخلص من العذاب.

١٥-الأخلاق الحسنة من أعظم أبواب المنافسة في الخير؛ فالحديث يفتح للمسلم بابًا يستطيع أن يسلكه في حياته اليومية، مهما كان عمله أو مكانته.

١٦-حسن الخلق عبادة متعدية النفع؛ لأن أثرها لا يقف عند صاحبها، بل يصل إلى الوالدين، والزوجة، والأبناء، والأقارب، والجيران، والزملاء وسائر الناس.

١٧-حسن الخلق يظهر عند الاختلاف والغضب؛ فمن السهل أن يحسن الإنسان إلى من يحبه، وإنما تظهر حقيقة أخلاقه عندما يخالفه شخص أو يسيء إليه.

١٨-من علامات حسن الخلق ترك التكلف في الحديث؛ فلا يتعمد الإنسان إظهار نفسه أعلم أو أفصح أو أرفع من غيره.

١٩-الحديث يحذر من حب الظهور بالكلام؛ فقد يتكلم الإنسان لا ليصل إلى فائدة، وإنما ليُعجب الناس بفصاحته أو معلوماته.